مؤتمر "طرق مبتكرة لمواجهة التطرف العنفي"
بيت المستقبل ومؤسسة كونراد أديناور
الجمعة، 11 كانون الأول، 2015
فندق الكومودور – بيروت

الجلسة الثالثة: "التعامل مع الإرهابيين: أساليب قابلة للتطبيق"

الإرهاب: أسباب انتشاره ووسائل مكافحته

اللواء فؤاد علام
الوكيل السابق لجهاز أمن الدولة في مصر ومدير سابق لأمن بور سعيد

أصبح الإرهاب ظاهرة دولية تعاني منها معظم الدول في العالم ولم يعد قاصرا على منطقة معينة، والخطير في الأمر نجاح بعض المنظمات الإرهابية الدولية في الأونة الأخيرة بالتنسيق فيما بينها لارتكاب جرائم إرهابية على الرغم من اختلاف الأيديولوجات التي تحكم هذه المنظمات وبالرغم من عدم وجود مصالح مشتركة فيما بينها. ويعود ذلك إلى تزايد الاسباب التي تساعد على نمو الفكر الإرهابي وسط غياب أي تنسيق بين دول العالم على تنفيذ منظومة لمواجهة الإرهاب على المستوى الدولي، بل على العكس ما زال هناك دول وحكومات تدعم منظمات إرهابية. ولم يعد خافيا على أحد الآثار المدمرة للإرهاب، حيث وصل الأمر إلى حد تهديد الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، علاوة على الخسائر في الأرواح والمنشآت وغيرها. ولم تعد هذه الآثار مقتصرة على البلدان التي ترتكب فيها هذه الجرائم، وإنما تمتد آثارها المدمرة إلى دول أخرى.

1- إشكالية تعريف الإرهاب:

يتطلب استعراض اسباب انتشار أفكار الإرهاب ووسائل مكافحته، شرح بعض الإشكاليات، أهمها الاختلاف حول تعريف مفهوم الإرهاب، حيث لم يصدر حتى اليوم تعريفا متفقا عليه تحت مظلة أي من مؤسسات الأمم المتحدة، حتى نضمن أن يكون هذا التعريف ملزما للدول كافة. وترجع أسباب ذلك إلى اختلاف نظرة الدول نحو المنظمات التي تقوم بأعمال عنف، واختلاف نظرتها تجاه أهداف هذه المنظمات. ففي الوقت الذي تعتبر فيه بعض الدول نشاطات منظمات مقاومة الاحتلال أعمالا ارهابية، ترى دولا أخرى هذه النشاطات بأنها مشروعة. عليه، نميل الى إعطاء التعريف التالي للإرهاب: أي فعل عنفي باشكاله المادية وغير المادية يصدر عن فرد أو مجموعة أفراد ضد فرد أو ضد المجتمع لأغراض سياسية وللتأثير على الأفراد والمجموعات أو الحكومات لتحقيق هدف معين يرتبط بتغيير المعتقدات او القيم او الاوضاع الاجتماعية والاقتصادي والثقافية والسياسية السائدة والتي تم التوافق عليها في الدولة والتي تمثل مصلحة قومية عليا للوطن، إضافة إلى خلق مناخ من الاضطراب وعدم الأمن. والإرهاب يستخدم السلاح او

المتفجرات او العنف، وهو عادة ما يهدد ارواح الابرياء بهدف تخويف الأغلبية وبث الرعب وان كان يتذرع بحجج دينية او اجتماعية او سياسية غير حقيقية ولا مبرر لها.

2- أسباب نشأة الإرهاب:

العوامل التي تساعد على نشأة الإرهاب متعددة منها ما هو عالمي ومنها ما هو محلي. عند الحديث عن العوامل العالمية لا بد وأن نبدأ بتأثير الحرب العالمية الثانية، التس شكلت نقطة تحول بين تاريخين للارهاب غيرت انماط العلاقات السياسية. وشهدت ستينات القرن الماضي حركة غير مسبوقة في تاريخ التحرر الوطني وزالت امبراطوريات بشكلها التاريخي التقليدي وتغيرت موازين القوى في العالم ومع الثورات العلمية، تغير ايقاع الحياة وشكل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وأصبح العالم قرية صغيرة تعيش تحت ظل الرعب النووي وحروب الفضاء والليزر في توجيه الضربات الساحقة للأرض. نتيجة لذلك، اصبح للصراع السياسي أشكال وقواعد وقوانين جديدة، وتعاظم دور الارهاب السياسي واصبح ظاهرة مختلفة تماما عن تلك الظاهرة الإرهابية التي كانت تعرفها البشرية قبل ذلك، حيث أصبح وسيلة جديدة في الصرا السياسي وبديلا عن الحروب التقليدية.

إلى هذا، أوجد صعود بعض التيارات الدينية المتشددة الى السلطة في بعض الدول مناخا يساعد على انتشار فكر الإرهاب الذي يلبس لبوس الدين، كما أن حدوث مآسي حقيقية للمسلمين في بعض بقاع العالم دون ان تتدخل الدول والمجتمع الدولي لمواجهتها، أدى الى استفزاز المسلمين بصورة عامة لدرجة أن افرادا في دول المنطقة تطوعوا للقتال الى جانب مجموعات اسلامية مختلفة في الخارج لجأت الى العمل من خلال تنظيمات سرية تعتمد على استخدام العنف بسبب عدم قدرتها على الدخول في حروب تقليدية ضد المعتدين. وخلق تصاعد العمليات الارهابية في كثير من دول العالم مناخا دوليا يشجع الافراد على الاعتقاد بان الارهاب والجرائم الارهابية هي السبيل الوحيد امامهم لتحقيق اهدافهم السياسية.

من جانب أخر، أتاحت الحروب التي نشأت في البوسنة وأفغانستان والسودان والعراق، الفرصة لكثير من معتنقي الافكار الارهابية للحصول على تدريبات عسكرية مكنتهم من ارتكاب العديد من الجرائم الارهابية كما سهلت لهم فرصة الحصول على السلاح والمواد المتفجرة.

ومن الاسباب الاخرى، استمرار بعض الدول العربية والاوروبية في دعم أعمال الارهاب وايواء عناصر ارهابية سواء من المحكوم عليهم والهاربين من دولهم او المطلوبين بقضايا. ووصل الأمر ببعض هذه الدول إلى منح بعض هذه العناصر حق اللجوء السياسي ودعمهم ماديا، الامر الذس شجعهم على مواصلة ممارسة نشاطاتهم الارهابية وتشجيع غيرهم على الاستمرار في هذا الطريق.

أخيرا، نذكر استخدام الانترنت وامكان الحصول على معلومات في غاية الاهمية وغاية الخطورة، حتى الحصول على معلومات فنية حول كيفية تجميع قنبلة نووية، سهل مهمة المنظمات الارهابية في تركيب المواد المتفجرة. إلى هذا، سهل الانترنت وسائل الاتصال بين القيادات والقواعد في هذه المنظمات، دون الحاجة الى التنقل بين الدول، ويسر الأمر لاصدار التعليمات في اقل وقت ممكن وسرية تامة.

أما العوامل المحلية والخاصة بمنطقة الشرق الأوسط والدول العربية بعامة، فتتمثل بالآتي:

أولا، العوامل الاقتصادية: من الواضح أن الفرد في كافة جوانب حياته المادية والاجتماعية وسماته الفعلية والانفعالية وفي سلوكه بوجه عام، إنما يتأثر في ذلك كله بوضعه الطبقي وتاليا الاقتصادي. وفي العقود الأخيرة، اصبحت مشكلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول تحتل المرتبة الأولى بين المشاكل الدولية بسبب تاثيرها على نمط شخصية الأفراد. والعامل الاقتصادي يتفاعل مع بقية العوامل كما يؤثر فيها ويتاثر بها. فهو يؤثر بمستوى الطموح عند الفرد وبالوضع الطبقي وبالقيم والاتجاهات السائدة وبالتالي في الاتزان الانفعالي وفي علاقة الفرد مع نفسه وعلاقته مع البيئة المحيطة به. جميع الشواهد والاحصائيات تدلنا على أن الظروف والأحوال الاقتصادية الحسنة تعمل على خلق شخصيات طبيعية متوافقة ومنتجة، سعيدة وغير متطرفة ولا مغالية في دينها وفهمها لتعاليم وقيم هذا الدين. ودليل صدق ذلك ما للعوامل الاقتصادية من تأثير واضح على اتساع قاعدة المتطرفين. إن تلك الفئة، في ظل أوضاع الاقتصادية صعبة، لا تجد إلا الاسلام ملجأ وملاذا لها. من ناحية أخرى يجد المتطرفون في المساعدات المالية التي يتلقونها من الجماعات المتطرفة سواء داخل البلاد أو حارجها، سببا كافيا لانضمامهم للتطرف. ويؤدي الفقر والحرمان وضعف المستوى الاجتماعي بهؤلاء المتطرفين الى رفض كل حوار هادئ وبناء، وتعاون مع الدولة ويصل بهم الامر الى حد استخدام العنف والقوة لتنفيذ اغراضهم.

فضلا عن الظروف الاقتصادية للمتطرفين انفسهم، تعلب الحالة الاقتصادية للدولة نفسها ونظامها الاقتصادي دورا في نشأة التطرف والارهاب، حيث تشكل الازمات الاقتصادية وانعدام فرص العمل ارضا خصبة لنمو التطرف والتطرف العنفي، تستغلها الجماعات المتطرفة لجذب الناس الى صفوفها.

ثانيا، العوامل الاجتماعية والدينية التي تتناول دور الاسرة والمدرسة في تكوين الفكر الديني المتطرف، حيث تقع المسؤولية الكبرى في منع التطرف على عاتق الأسرة، حيث على الوالدين عدم التقاعس عن اداء رسالتهما والاهتمام بما يبدو من امارات على تطرف احد ابنائهما وعدم غلو الوالدين في اقامة الشعائر الدينية كي يكونا قدوة حسنة لابنائهما. أما المدرسة، فهي الأسرة الكبيرة التي تتدخل في عصرنا هذا فب انارة الطريق للتلاميذ. والمهتمون بامور الشباب ومسارات افكارهم يرون ان هناك قصور في مناهج التربية الدينية في المدارس وهي تساعد على التطرف لدى الشباب والمغالات في الممارسات الدينية. إلى هذا، من المخجل أن الذين يتولون تدريس التربية الدينية في مدارسنا ليسوا على المستوى المطلوب. فمن أهم اسباب الغلو الديني هو ضعف البصيرة بحقيقة الدين والتعمق في معرفة اسراره والوصول الى فهم مقاصده واستشفاف روحه. فأغلب المتطرفين يعتقدون أنهم من اهل العلم والاجتهاد في الدين وهم لم يبلغوا بعد تلك الدرجة، فيأخذوا ببعض جزيئات الشريعة دون الاحاطة بكليتها ومعانيها ومقاصدها، فيكفرون من يخالفهم الرأي بين المسلمين انفسهم واتباع الديانات الأخرى. وقد كشفت تجربة استخدام الحوار الفكري في تقويم المتطرفين ضحالة ثقافتهم الدينية وبخاصة بين قياداتهم.

ثالثا، العوامل السياسية: لا شك أن عدم استقرار الاوضاع السياسية في الدولة ونظام الحكم يفقد المواطن الثقة في النظام ويجعله في حالة من الشك والقلق والسخط، ما يتيح المجال للافكار المتطرفة بالتغلغل والسيطرة على مقاليد الأمور. فالحركات السياسية الاسلامية كحزب التحرير والاخوان المسلمين وجماعات

التكفير والهجرة، ظهرت في اوائل القرن الحالي مع الغزو الاستعماري الاوروبي للبلاد الاسلامية سياسيا واقتصاديا وفكرا وحضارة. وقد ادى هذا الغزو الى ظهور الفكر العلماني في البلاد وقيادته للحركة الوطنية واعتماده في الاستقلال على الحضارة الغربية فكرا وسياسية. وادى ايضا الى الغاء الخلافة العثمانية الاسلامية في تركيا ما افقد المؤسسة الاسلامية السياسية لهويتها. وأدى أخيرا الى تجزئة البلاد وتقسيمها الى اشلاء مبعثرة بين القوى الاوروبية. هذا المناخ دفع الى ظهور الحركات الاسلامية كرد فعل لهذا التغيير وكوسيلة لجمع الشمل من جديد، ولكن في شكل متطرف في مفاهيمه واسلوبه في العمل، متخذا من تكفير المجتمع حكاما ومحكومين المنطلق لقيام الحركة الاسلامية وقيام دولة الاسلام ومن ثم اعتماد العنف للوصول الى هذا الهدف. من ناحية أخرى، ادى فشل الدول العربية في اقامة انظمة ديمقراطية تعتمد على احترام الحريات وحقوق الانسان وتبادل السلطة بطرق سلمية الى نمو التطرف والغلو الديني.

3- مكافحة الإرهاب: الجهود المحلية في منطقة الشرق الأوسط والدول العربية

مما سبق يتضح أن مشكلة الإرهاب مشكلة مركبة ذات أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، مختلفة مع بعضها البعض. ومن هنا فإن مواجهة الإرهاب يستلزم إجراء دراسات بطرق علمية تستهدف بيان أسباب انتشاره، وتضع تصورا لمنظومة متكاملة شاملة لكيفية التعامل مع هذه الأسباب، ولذلك فمسؤولية المجتمع بأسره (الأحزاب، القوى السياسية المختلفة، الأدباء، المفكرين، رجال الدين، الفنانين، المؤسسات الأمنية، وزارات الثقافة والإعلام ... إلخ). وقد تمثلت الجهود التي بذلت وما زالت تبذل في الآتي :

1- <u>الجهود الأمنية :</u>

بالرغم من أنه أصبح متفقا على أن الإجراءات الأمنية وحدها لا تكفي لمواجهة الإرهاب، بل وعلى العكس من ذلك فيجب أن تكون الإجراءات الأمنية هي آخر الحلقات في مواجهة ظاهرة الإرهاب وأن تكون في أضيق نطاق ولا تكون إلا عندما تكون هناك ضرورة قصوى، ويجب أن نكون حريصين مع كل ذلك على ألا تؤدي أساليب المواجهة الأمنية إلى تصعيد مشكلة الإرهاب، أو إلى حدوث ممارسات قد يكون من شأنها على المدى الطويل أن يكسب الإرهاب أرضا جديدة ولذلك فلابد من دعم أجهزة الشرطة وتطويرها بكل الوسائل المتاحة والمناسبة مع حجم التحدي القائم في مواجهتها لتمكينها من ممارسة مهامها بفاعلية، وبالتوازي مع ذلك يجب أن تقوم أجهزة الأمن بإجراء دراسات دقيقة حول كيفية تصاعد ظاهرة العنف الإرهابي في مناطق معينة رغم وجود أجهزة الأمن في تلك المناطق، ويجب التأكيد على ضرورة ترشيد أساليب المواجهة الأمنية، وعلى أن تحاط أجهزة الأمن بالظروف والإمكانيات التي تمكنها من أداء دورها بفاعلية وكفاءة أفضل .

2- <u>المواجهة الدينية :</u>

تعتبر المواجهة الدينية أحد الأساليب العاجلة الأساسية لمواجهة مشكلة الإرهاب. ذلك أنه يتخذ الدين الإسلامي ستارا له في ممارساته، وفي تجنيد واستقطاب الشباب في ظل تفسيرات مغلوطة واجتهادات خاطئة تتنافى وأحكام الدين السمحة الصحيحة، وهو ما يعني أن هناك غيابا على مستوى معين للتفسيرات الصحيحة للدين، وللقدرة على توصيلها بأسلوب صحيح وفعال للشباب فموقف الشريعة الإسلامية من أعمال

العنف واضح بما لا يدع مجالا للشك في أن تلك الأفكار والممارسات تعد خروجا عن الدين الصحيح، رغم ذلك فإن الأفكار المتطرفة تجد سبيلها إلى النفاذ لعقول الكثيرين. وقد ثبت من التجربة التي تمت في جمهورية مصر العربية أن الحوار الذي طرحت فيه الأفكار المتطرفة، والذي تمت مناقشته بمعرفة متخصصين من علماء الأزهر، قد أتت بنتائج إيجابية جيدة ، حيث طرحت الأسانيد التي يدعي بها المتطرفون، وثبت من الحوار وقوعهم في أخطاء جسيمة في التفسير وفي الاستدلال .

3- المواجهة التشريعية :

تعتبر السياسة التشريعية من أهم أساليب مواجهة الإرهاب، ولذلك لجأت جميع الدول التي عانت من الإرهاب، إلى إصدار القوانين المتخصصة حتى يمكن مواجهة هذه الظاهرة، ولم يعد مقبولا من البعض الادعاء بعدم الحاجة إلى سن قوانين خاصة لمواجهة الجرائم الإرهابية إذ أنها ذات طبيعة خاصة وآثارها مدمرة ودائما أبدا ما تروع المجتمع وتثير الفزع في نفوس المواطنين، لذلك فإصدار قوانين خاصة بمواجهة الإرهاب، أصبح ضروريا حتى يمكن تحقيق التوازن بين حاجة المجتمع لتحقيق الأمن والاستقرار لمواطنيه، وبين ضمان ممارسة المواطنين لحرياتهم بالقدر الذي لا يتعارض مع متطلبات الأمن .

4- المواجهة الإعلامية :

تلعب وسائل الإعلام دورا هاما وأساسيا في مواجهة الإرهاب عن طريق قدرتها على الوصول إلى المواطنين بصورة مباشرة وبأساليب متنوعة، وقدرتها على التعامل مع الرأي العام، بل وتشكيل بعض التيارات القيمية والسلوكية في المجتمع، وهناك بالطبع أدوارا مختلفة يمكن أن تقوم بها تلك الوسائل، خاصة التلفزيون، لمواجهة مشكلة الإرهاب، كنشر الفكر السوي، وإثارة القضايا الأساسية المرتبطة بالإرهاب وإدخال المواطن كعنصر أساسي من عناصر مواجهة المشكلة .